

الطبيعة ونواميس الطبيعة اختبأت في الظلمة

فقال الله : ليكن نيوتن ، فكان كل شيء نوراً

وهكذا نرى أن ما قدمه ديكارت في الفلسفة وما قدمه نيوتن في الرياضة قد أرسى أول قواعد المذهب الكلاسيكي ، إذ جعل العقل صاحب السلطان المطلق في أدب هذا المذهب (٦٠) .

٢ - لأن هذا الأدب الكلاسيكي كان أدب العقل كان يعني بالبحث عن الحقيقة في معناها العام الذي يعرفه كل المعاصرين ، ويؤمنون به ، فلا يأبهون للشاعر الفردية والأخيلة الجامحة ، وكان على الكاتب الكلاسيكي أن يؤمن بما قاله بوالو : « لا شيء أجمل من الحقيقة ، وهي وحدها أهل لأن تحب ، ويجب أن تسيطر في كل شيء ، حتى في الخرافات حيث لا يقصد بما في الخيال من براعة إلا لجلاء الحقيقة أمام العيون ، وهذا واضح فيما خلف الكلاسيكيون من آثار ، فهم يعالجون الحالات العادية المألوفة التي يمكن أن تنطبق على الإنسان في كل بلد » (٦١) .

٣ - ولأن أدب العقل كان معتدلاً ، يعيش في مجتمع أرستقراطي النزعة معتز بما استقر فيه من قواعد وطبقية ، شديد المحافظة على ما يؤمن به من أخلاق لها قداسة لا تنازع ، وقد ظلت هذه العادات والتقاليد مرعية في الأدب الكلاسيكي (٦٢) .

وإذا تأملنا هذا ، وتذكرنا أول الأسس العامة للكلاسيكية ، بدا أن في هذا المذهب شيئاً من التناقض الداخلي ، فإن النزعة العقلية الرياضية التي أرسى دعائمها ديكارت ونيوتن كانت جديرة بأن تدفع الأدباء إلى نقد العادات والتقاليد ، وإلى عدم قبول ما ليس منطقياً أو معقولاً منها .

ولقد كانت الكلاسيكية في أمريكا متوافقة مع نفسها من هذه الزاوية أكثر من الكلاسيكية في أوروبا ، ففي أمريكا قال الكلاسيكيون : « علينا أن نطرح جانباً كل التقاليد العمياء ، واللاعقلانية ، والخرافية ، والغائمة على التعصب ، وعلينا ألا نتسامح في نقدنا لتقاليد المسيحية أو الملكية المطلقة ، أو أي شيء